المبحث الثاني

اراء باقي الفرق الاسلامية في صفة الكلام .

المطلب الأول : رأي المعتزلة في صفة الكلام .

الذي اجمع عليه المعتزلة من القول في القران انه مخلوق ، وقد اختلفوا فيه اهو جسم ام ليس بجسم ؟ وفي خلقه على ستة اقاويل : واختلفوا في كلام الله ايبقى ام لا يبقى؟ واختلفوا في الكلام أهو حروف ام لا ؟ على مقالتين ..... الى اخر اختلافاتهم[1] .

ولااريد ان اخوض في تفاصيل ذلك كله ، ولكن الذي يجمعون عليه هو القول بخلق القران بسبب انكارهم للصفات عامة ، ولصفة الكلام خاصة . يقول الامام الرازي –رحمه الله– :"اعلم ان المعتزله كلهم متفقون على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة ، وعلى ان القران محدث مخلوق ."[2] لذلك كانت فتنة خلق القران ، ومحنته المشهورة ، وقد أرجع بعض الباحثين اسباب المحنة الى أمور خارجية وليست داخلية مثل مناقشة النصارى في ألوهية عيسى عليه السلام وهذه الاسباب ليست بعيدة خصوصا اذا انضمت الى منهج المعتزلة في نفي الصفات وانكارها . ويؤيد هذا ما رواه ابن عساكر بسنده الى الحسين بن الفضل البجلي (رحمه الله) يقول :دخلت على زهير بن حرب بعدما قدم من عند المأمون وقد امتحنه فأجاب الى ماسأله . فكان اول ما قال لي : يا ابا علي تكتب عن المرتدين

---

١ لمعرفة اختلافاتهم في كلام الله ينظر مقالات الاسلاميين : ١ /٢٤٥ ـ ٢٤٧

٢ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ٨٣

فقلت :معاذ الله ما أنت بمرتد وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[1] .فوضع الله عن المكره ما يسمعه في القران . ثم سألته عن اشياء يطول ذكرها فقال :اشدها علينا ان قال لنا :ما تقولون في عيسى ؟ــ صلى الله عليه وسلم ــ قلنا من عيسى يا أمير المؤمنين ؟ قال :ابن مريم. قلنا :رسول الله . قال : وكلمته ؟ قلنا : نعم. قال :فما تقولون فيمن قال ليس عيسى كلمة الله ؟ قلنا: كافر يا أمير المؤمنين قال : فقال لنا :أليس عيسى كلمة الله ؟! قلنا : بلى قال : فمن زعم انه غير مخلوق . قلنا : كافر يا امير المؤمنين قال : فما تقولون في القران ؟قلنا : كلام الله عز وجل قال : مخلوق او غير مخلوق ؟ قلنا : غير مخلوق قال : فمن زعم ان عيسى غير مخلوق ، وهو كلمة الله ؟قلنا : كافر قال : يا سبحان الله ! عيسى كلمة الله ومن نفى الخلق عنه كافر ، والقران كلمة الله ومن يثبت الخلق عليه كافر . قال الحسين فأعلمته ما يجب من القول ، وقلت له : قد كان المكي يختلف اليكم ويقول لكم : أني اعلم من هذا الباب ما لا تعلمون ، فتعلموا ذلك مني فتحملكم الرياسة على ترك ذلك ويقول لكم : يكون لكم ما تعلمتموه مني عدة تعتدونها لاعدائكم فان هجموا يوما لم تحتاجوا الى طلب العدة فان احتجوا بعد ذلك عليكم ولم يحضركم الاعداء للعدة فتأبون ذلك ، والحجة في هذا الباب كيت وكيت[2] . فقال : والله لوددت اني كنت أعلم هذا

---

١ سورة النحل ، الاية :١٠٦

٢ روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، محمود الالوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ٢٤/٦ ، دار التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ

كما تعلمته يوم دخلت على المأمون وان ثلث روايتي ساقطة عني ، ثم نظر الى يحيى ابن معين وهو معه فقال له : وأنا أقول كما تقول . فقال لي زهير : فحلم ابني فانه حدث ، فخلوت به في المسجد فعلمته ذلك ثم انصرفت.

قال محمد بن عبد الله الحاكم : الحسين بن الفضل البجلي صاحب عبد العزيز المكي المقدم في معرفة الكلام[1] . نعود الى تفصيل قول المعتزلة في كلام الله تعالى . فالمعتزلة قالوا بأن كلامه تعالى حروف واصوات ، ولكنها ليست قائمة بذاته ، وانما يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ ، او الملك جبريل ، او النبي ، وهو حادث[2] . وقالوا :"ان مدلول العبارات في الخبر راجع الى العلم القائم بالمتكلم وفي الامر راجع الى ارادة المأمور به ، وفي النهي الى كراهة المنهي عنه ، فلا يثبت كلام نفسي مغاير لباقي الصفات ."[3] "أما العبارات نفسها فألفاظ حادثة مخلوقة من الله ،كما اتفقنا جميعا ، فهي ليست صفة لله تعالى ولكنها مخلوق من مخلوقاته ، وليس الكلام الى عبارة عن هذا ."[4]

واحتجوا بايات من القران الكريم منها قوله تعالى :﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[5] .زاعمين أن جعل بمعنى خلق وهو مردود بأن جعل اذا كان بمعنى خلق يتعدى الى مفعول واحد على حد قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ

---

١ تبيين كذب المفتري ، ابن عساكر ، ص ٣٢٥ ـ ٣٥٤

٢ ينظر شرح المواقف ، ٩٢/٨ ـ٩٣ ، اصول الدين الاسلامي، د. رشدي عليان د. قحطان الدوري ، ص ١٦٤

٣ شرح المواقف ، ٩٥/٨ .

٤ كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق د . محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ١٣٥ دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٤ه.

٥ سورة الزخرف ، الاية :٣

وَٱلنُّورَۖ ﴾[1] واذا تعدى الى مفعولين لم يكن بمعنى خلق كما في هذة الاية وفي قوله :

﴿ وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ ﴾[2] [3]

وتمسكوا بايات أخرى من الكتاب العزيز ورد عليهم اهل السنة بما اسكتهم . يقول الامدي :" وما أوردوه من الظواهر في معرض اثبات الحدث والأولية فظنية غير يقنيية كيف وأن نقول : ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ﴾[4] يحتمل ان يكون معناه الوعظ، والتذكير الخارج عن القران وهو الاقرب ."[5]

الى غير ذلك من الايات التي استدلوا بها ورد عليهم اهل السنة أبلغ رد وفندوا أقوالهم غاية التفنيد .

أما دليلهم العقلي فهو باختصار :

انهم لم يخالفوا في كون الباري تعالى متكلما ، وفي أن له كلاما ولكنهم قالوا : معنى كونه متكلما ، وان له كلاما انه فاعل للكلام ، وذلك صفة فعلية لاصفة نفسية .

ثم كيف يكون متكلما بمعنى قيام الكلام به ؟ وهو اما أن يكون قديما او حادثا لزم ان يكون الرب تعالى محلا للحوادث وهو محال[6].

---

١ سورة الانعام ، الاية :١

٢ سورة النحل ، الاية :٩١

٣ نثر اللآلي على نظم الامالي ، عبد الحميد الالوسي :. ٤٢ ـ ٤٣

٤ سورة الانبياء ، الاية :٢

٥ غاية المرام ، الامدي : ٤٩ .

٦ غاية المرام ، الامدي: ٩٤ ـ ٩٥ .

ويجيب اهل السنة عن هذا ان كلام الله ان كان قديما وهو صفة لله تعالى لايلزم منه تعدد القدماء لأنة صفة قائمة بالذات وليست ذاتا أخرى حتى يلزم اثبات قديمين .

" وان كان حادثا احدثه الله تعالى باللفظ المركب من الحروف والاصوات فهو عرض لايخلو اما ان يكون قائما بذاته فتكون ذاته محلا للحوادث ، أو بذات غيره فيلزم قيام وصف الشيء بغيره ، أو يكون قائما بنفسه فيلزم قيام العرض بنفسه والكل محال ."[1]

فوجب ان يكون كلام الله صفة ازلية قديمة قائمة بذات الله تعالى . ويورد ابن عساكر حكاية انقلها عنه ليعلم اهل السنة ان علماءهم كانوا يقفون للخصوم بالمرصاد وليتأسوا بهم ويسيروا على منوالهم يقول ابن عساكر (رحمه الله):" كانت شوكة المعتزلة بالعراق شديده الى أن كان زمن الملك فناخسرو وكان ملكا يحب العلم والعلماء وكانت له مجالس يقعد فيها للعلماء ومناظرهم ، وكان قاضي القضاة في وقته معتزليا .

فقال له فنا خسرو يوما :هذا المجلس عامر من العلماء الا أني لا أرى احدا من اهل السنة والاثبات ينصر مذهبه فقال له :ان هؤلاء القوم عامة رعاع اصحاب تقليد واخبار وروايات يروون الخبر وضده ويعتقدونهما وأحدهما ناسخ للثاني او متأول ولا أعرف منهم أحدا يقوم بهذا الامر .

ـــ وهذا الفاسق انما أراد أطفاء نور الحق ويأبى الله الا أن يتم نوره ـــ ثم اقبل يمدح المعتزلة ويثني عليهم بما استطاع .

---

١ نثر اللآلي على نظم الامالي : ٤٥.

فقال الملك : محال ان يخلو مذهب طبق الارض من ناصر ينصره ، فا نظروا اي موضع يكونه مناظر لنكتب فيه ويحضر مجلسنا فلما زعم في ذلك وكان ذلك العزم أمرا من الله اراد به نصرة الحق .

فقال له : اصلح الله الملك أخبروني أن بالبصره رجلين شيخا ، وشابا احدهما يعرف بأبي الحسن الباهلي والشاب يعرف بابن الباقلاني وكان حضرة الملك يومئذ بشيراز . فكتب الملك الى العامل ليبعثهما أليه .

واطلق مالا لنفقتهما من طيب المال .

قال القاضي ابو بكر الباقلاني : فلما وصل الكتاب الينا قال الشيخ وبعض اصحابنا هؤلاء القوم فسقه لايحل لنا ان نطأ بساطهم ، وليس غرض الملك من هذا الا أن يقال ان مجلسه مشتمل على اصحاب المحابر كلهم ولو كان ذلك لله عز وجل خالصا لنهضت فأنا لا احضر عند قوم هذه صفتهم .

فقال القاضي (رضي الله عنه): كذا قال ابن كلاب ، والمحاسبي ومن كان في عصره من المتكلمين ان المأمون لا نحضر مجلسه ، حتى ساق احمد الى طرطوس ثم مات المامون وردوه الى المعتصم فا متحنه وضربه وهؤلاء اسلموه ولو مروا اليه وناظروه لكفوه عن هذا الأمر فانه كان يزعم ان القوم ليست لهم حجة على دعاويهم فلو مروا اليه وبينوا للمعتصم لارتدع المعتصم ولكن اسلموا فجرى على احمد بن حنبل –رضي الله عنه– ما جرى وانت ايها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد ويقولون بخلق القران ، ونفي رؤية الله تعالى ، وها انا خارج ان لم تخرج قال : فخرجت مع الرسول الى شيراز في البحر حتى وصلت اليها ثم ذكر مع دخوله على الملك ومناظرته مع المعتزلة ، وقطعه أياهم ما

ذكر قال ثم دفع ابنه يعلمه مذهب اهل السنة ، وألف له كتاب التمهيد فتعلق أهل السنة به تعلقا شديدا ، وكان القاضي ابو بكر (رضي الله عنه) فارس هذا العلم مباركا على هذة الامة كان يلقب شيخ السنة ، ولسان الامة[1].

١ تبيين كذب المفتري : ١١٨ ـ ١٢٠.

المطلب الثاني

رأي الحشوية بصفة الكلام وهم الكرامية ومبتدعة الحنابلة .

أولا : الكرامية :

قالوا : ان كلامه تعالى حروف واصوات ، وسموه قولا له ، وسلموا انه حادث .

وقالوا : هو قائم بذاته لتجويزهم قيام الحوادث به وهو باطل ، تعالى الله عما يقولون [١].

يقول الامام الرازي (رحمه الله) حاكيا مقالة الكرامية :"وفي الجملة فهم كلهم يعتقدون ان الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث ، ويثبتون له جهة ومكانا" [٢].

ثانيا : مبتدعة الحنابلة :

قالوا :"كلامه حرف وصوت يقومان بذاته وانه قديم وقد بلغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف "[٣]

وهم بهذا يتفقون مع الكرامية في قولهم كلامه تعالى عبارة عن حرف وصوت ، ويختلفون معهم في قولهم قديم ، لانهم لم يجوزوا قيام الحوادث بذات الله تعالى كما جوزها الكرامية .

---

١ ينظر شرح المواقف ، ٨ / ٩٢ ، والمسامرة بشرح المسايرة ، ص ٧٧

٢ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الامام فخر الدين الرازي ، ص ٦٧ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م

٣ شرح المواقف ، ٨/ ٩٢ .

ويرد علماء اهل السنة والجماعة على الكرامية والحشوية من الحنابلة ردوداً كثيرة اورد منها مثالا واحدا وهو :

قول الامام الغزالي (رحمه الله) حيث يورد حجتهم ويرد عليها وهي " ان القران كلام الله تعالى أم لا ، فان قلتم لا فقد خرقتم الاجماع وان قلتم نعم فما هو سوى الحروف والاصوات ومعلوم ان قراءة القارئ هي الحروف والاصوات .

فنقول : هنا ثلاثة الفاظ قراءة ومقروء وقران اما المقروء فهو كلام الله تعالى أعني صفته القديمة القائمة بذاتة .

واما القراءة فهي في اللسان عبارة عن فعل القارئ الذي كان ابتدأه بعد ان كان تاركا له ولا معنى للحادث الا انه ابتدئ بعد ان لم يكن ، فأن كان الخصم لا يفهم هذا من الحادث فلنترك لفظ الحادث والمخلوق ولكن نقول : القراءة فعل ابتدأه القارئ بعد أن لم يكن يفعله وهو محسوس ،واما القران فقد يطلق ويراد به المقروء فان اريد به ذلك فهو قديم غير مخلوق ، وهو الذي اراده السلف (رضوان الله عليهم) بقولهم : القران كلام الله تعالى غير مخلوق اي المقروء بالالسنة، وان اريد به القراءة التي هي فعل القارئ ففعل القارئ لا يسبق وجود القارئ ، وما لا يسبق وجود الحادث فهو حادث وعلى الجملة من يقول ما احدثته باختياري من الصوت وتقطيعه ، وكنت ساكتا عنه قبله فهو قديم ، فلا ينبغي ان يخاطب ويكلف بل ينبغي ان يعلم المسكين انه ليس يدري ما يقول ولا هو يفهم معنى الحرف ، وهو لا يعلم معنى الحادث ولو علمها لعلم أنه في نفسه اذا كان مخلوقا كان ما يصدر عنه مخلوقا ، وعلم ان القديم لا ينقل الى ذات حادثة ، فلنترك التطويل في الجليات ، فان قول قائل : بسم الله ان لم تكن السين فيه بعد الباء لم

يكن قرانا بل كان خطا ، واذا كان بعد غيره ومتاخرا عنه فكيف يكون قديما ،ونحن نريد بالقديم ما لا يتاخر عن غيره اصلا .[1]

ويقول السيف الامدي :" ولعل معتمد المعطلة في اثبات الحروف والاصوات هو ما قاد الحشوية ــ لعدم فهم كلام النفس ــ إلى اثباتها صفة للذات ،فانهم لما (لم) يسعهم القول بالتعطيل ، ولم يقدورا على التأويل ، لهذا التهويل جمعوا بين الطريقتين ، وانتحلوا مذهبا ثالثا بين المذهبين ، ولم يعلموا ما في ذلك من السفاهة ، وفي ضمنه من الفهاهة ، لما فيه من الهرب الى التجسيم ، فوق الوقوع في التعطيل " اذ الحروف والاصوات أنما تتصور بمخارج وادوات ، وتتزاحم اجرام واصطكاكات وذلك في حق الباري محال . فانظر الى هاتين الطائفتين كيف التزم بعضهم التعطيل خوف التجسيم ، والتزم بعضهم التجسيم خوف التعطيل " [2].

١ الاقتصاد في الاعتقاد : ٥٨ ـ ٥٩
٢ غاية المرام : ١١١ ـ ١١٢